



لم يكِن المقام يستقر برسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، حتى بدأت ملامح الدولة العادلة تتّضح، وشمس الحق تظهر وتتمدّد شعاعها الدافئ، ليغمر كل من قصد مداه، وطلب دفءه، والمدينة يومها تركيبة متعددة الأجناس والأعراق، مختلفة العقائد والأديان، فيها أهل الكتاب من اليهود، وبعض أهل الوثنية الذين لم يدخلوا بعد في دين الله، وال المسلمين فيها مهاجرون وأنصار، ينحدرون من قبائل مختلفة، وعشائر لها ماضٌ عميق ممتد الجذور من التناحر والحروب، والتنافر والاقتتال، ويتم الله تعالى فضله عليهم، فيدخلون في حمى الإسلام ويتفاون ظلاله الرحيمة، ويسعى الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما يسعى، إلى وضع دستور يضمن للجميع حرّيتهم وكرامتهم، ويبين لهم حقوقهم وواجباته، ويلتفت إلى أهل الجوار من اليهود، ويشملهم بتلك المبادئ السامية العظيمة، في خطوة ستظل أبد الدهر محطة يتوقف عندها كل من يتهم الإسلام باضطهاد الأقليات، أو استثناءهم من الخطط الإيجابية التي تنتظم في دستور الدولة، أو أولئك الذين يدعّون أن الإسلام دين قام على ضرب الأعناق واستعباد الأعراق، واستثناء ما دون المسلمين من الخير والرحمة التي جاء بها دين الإسلام، وهم يخوّفون الناس من عودة الإسلام إلى واجهة الحياة البشرية، وستبقى آية عدل قدمها رسولنا الكريم، ويد مرؤدة مدّها بكل نية طيبة، حتى لأولئك الذين ما عرفهم التاريخ إلا قوم بهت وغدر، وخيانة ومكر، وخطوة سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وفق وحي يوحى، يرتّب بيت الأمة الجديد، ويضع لها دستوراً يتضمن كل ما تحتاجه الدولة الناشئة، ومن فيها من البشر المختلفين في الدين والمعتقد والتراث، فها هو صلى الله عليه وسلم يؤاخِي بين المهاجرين والأنصار، ويضع لهم منهج أخوة يبقى مثلاً لكل من يعرف حق المسلم على أخيه المسلم، (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي الأمي)، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومنتبعهم ولحق بهم وجاحد معهم أنّهم أمّة واحدة من دون الناس) فالمسلمون في هذه الوثيقة أمّة واحدة لها تميّزها العقائدي والمسلكي، ولها وشائج تربطها من الأخوة والتكافل والترابط، وهم على من بغي على أيّ واحد منهم، يد واحدة، وقلب واحد، كرامتهم واحدة، وهم متساوون أمام شريعتهم،

(وَإِنْ ذَمَّةُ اللَّهِ وَاحِدَةٌ يَجِيرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بعْضُهُمْ مَوَالِيُّ بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ) فَهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ لَا وَلَاءَ لِعِنْدِهِمْ إِلَّا
لِمَنْ وَالَّى اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ مَعًا، سَلَمُهُمْ وَاحِدٌ وَحَرْبُهُمْ وَاحِدٌ، (وَإِنَّ سَلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يَسَالُهُمْ مُؤْمِنٌ
فِي قَتْلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ) ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ لِيُوجَدَ أُمَّةٌ تَتَمَيَّزُ بِمَعْقَدَاتِهَا، وَتَشْرِيعَاتِهَا، وَعَلَاقَاتِهَا
الخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ، فِي حَرْبِهَا وَسَلْمِهَا، وَهِيَ بِذَلِكَ كَلَّهُ تَحرِّيَ الْعَدْلِ وَتَنْشِدُ الْأَمَانَ، وَتَبَعُثُ الْقِيمَ الَّتِي نَسِيتَهَا الدِّنِيَا قَرُونًا،
وَتَرْسِي مَبَادِئَ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَالتَّأْخِي وَالتَّوَادِ، وَالتَّعَالِمُ الْقَائِمُ عَلَى حُرْيَّةِ الْمُعْتَقَدِ، وَبِدَاهَةِ الْكَرَامَةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَضَرُورَةِ
الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالْحُكْمَةِ الْكَاملَةِ فِي التَّعَالِمِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجَمَّعِ الْوَاحِدِ، الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّعدِيدَ الْعَقَائِدِيَّةَ وَالْقَافِيَّةَ وَالشَّرَاعِيَّةَ،
وَتَطْلُقُ الْحَرَيَّاتِ كَاملَةً، مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِصْرَارٌ بِالدُّولَةِ الَّتِي تَضُمُ إِلَيْهَا كُلَّ هَذِهِ الْإِثْنَيْنِ الْمُخْتَلِفَتَيْنِ، (وَإِنَّهُ مَنْ تَبَعَنَا مِنْ يَهُودٍ
فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأَسْوَةَ غَيْرَ مُظْلَومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِ عَلَيْهِمْ) وَالْعَقِيقَةُ فِي عِرْفِ الدُّولَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مَصَانَةٌ لِحَامِلِهَا، لَا يَكُرِهُ أَحَدٌ
عَلَى دِينِهِ، وَلَا تَكُونُ الْمُخَالَفَةُ فِي الدِّينِ سَبِيلًا لِلَّاعْتِدَاءِ عَلَى الْآخِرِ (لِيَهُودِ دِينِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ إِلَّا مِنْ ظُلْمٍ
وَأَثْمٍ فَإِنَّهُ لَا يَوْتَغِي إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ) فَالْمُخَالَفَةُ فِي الدِّينِ لَا تَبرِرُ الإِبَادَةَ وَالتَّطْهِيرَ الْعَرْقِيَّ، وَالْعَدْلُ وَالرَّحْمَةُ هُيَّ جَوْهَرُ رسَالَةِ
اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ، وَمُحَمَّدُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، هُوَ أَوْلَى وَأَحْقَنَ مَنْ يَحْمِلُ هَذِهِ الرَّحْمَةَ وَيَبْلُغُهَا كَمَا أَرَادَهَا رَبُّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى، لَكِنَّ
الْدُّولَةِ الَّتِي تَحْتَضُنُ الْجَمِيعَ، لَهَا دِينٌ فِي عَنْقِ الْجَمِيعِ، وَكَمَا لَهُمْ حُوقُقٌ مَصَانَةٌ، فَإِنَّ لَهُمْ وَاجِبَاتٌ مَطلُوبَةٌ (وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ
نَفْقَتِهِمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفْقَتِهِمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةِ وَالبَرِّ دُونَ
الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمُظْلَومِ، وَإِنْ يَثْرِبْ حَرَامٌ جَوْفَهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ، غَيْرِ
مُضَارٌ وَلَا آثَمٌ) وَتَمْضِي الْوَثِيقَةُ الَّتِي أَصَّلَتْ عَلَى مَرْزِقَ زَمَانِ الْكُلُّ دُولَةً تَقْوَى اللَّهُ، وَمَصْلَحةُ الْإِنْسَانِ الْمُكْرَمُ، وَلَتَقُولُ
لَكُلِّ حَاكِمٍ مَرْ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، أَنَّ الْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ وَالْمَسَاوَةَ وَالْحُرْيَّةَ وَالْقِيمَ الْمَرْاعِيَّةَ لِأَدْمَيْهِ الْإِنْسَانَ، هِيَ التَّاجُ الْحَقِيقِيُّ عَلَى
مُفْرَقِكَ، وَهِيَ السِّيفُ الْقَاطِعُ فِي يَدِكَ، وَهِيَ الْأَمَانُ الْكَامِلُ لَكَ فِي الدِّينِ وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْوَفَاءَ وَالبَرِّ بَيْنَ الْحَاكِمِ وَالرَّعِيَّةِ، وَبَيْنَ
أَفْرَادِ الْأَمَةِ أَنفُسِهِمْ، وَلَوْ اخْتَلَفَتِ الْدِيَانَةُ وَالْمَشَارِبُ السُّلُوكِيَّةُ، تَنْظِلُ مَطْلَبًا يَسْأَلُ اللَّهَ عَنْهُ الْحَاكِمُ وَالْمُحْكُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَإِنَّ
الله جار لمن بر واتقى) أَيْتَهَا الدِّينُ الَّتِي تَعَاقِبُ عَلَيْكِ الْدَّهُورُ، وَمَرَّتْ عَلَيْكِ الْعَصُورُ، وَحَطَّتْ فِي مَرَابِعِ الرَّحَالِ أَمَمُ
وَحَضَارَاتِهِ، وَتَوَالَّتْ عَلَى سَكَانِكَ الشَّرَائِعِ وَالْدِيَانَاتِ، نَنْشُدُكَ اللَّهُ، أَمْرَتْ عَلَيْكِ شَرْعَةً أَعْظَمَ وَأَرْحَبَ وَأَعْدَلَ مِنِ الْإِسْلَامِ؛ وَهُلْ
سَارَ عَلَى ثَرَاكَ مَنْ هُوَ أَعْدَلُ مِنِ الْمُصْطَفَى صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لَقَدْ أَرْسَى دِعَائِمَ الْعَدْلَةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَمْمِيَّةِ، فِي
حَرْكَةِ تَغْيِيرٍ وَتَصْحِيفٍ، وَتَحرُّرٍ وَبَعْثٍ وَإِحْيَاءٍ، لَا هُدُفُّ مِنْهَا إِلَّا إِقَامَةُ الْخَلَافَةِ الْرَّبِّيَّانِيَّةِ، الَّتِي جَعَلَ الْإِنْسَانَ لِيَقِيمَهَا عَلَى مَنْهَاجِ
الْتَّوْحِيدِ، وَالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ هَنَاكَ طَرْفٌ مُظْلَومٌ، أَوْ ضَحِيَّةٌ تَدَاسَ حُوقُقَهَا لِأَجْلِ هَذِهِ الْهَدْفِ عَلَى سَمْوَهِ
وَرَقِيَّهِ، وَمَنْفَعَتِهِ لِلنَّاسِ، فَبَلَّغَ الْأَمَانَةَ وَأَدَّى الرَّسَالَةَ وَنَصَحَّ الْأَمَةَ، وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

المصادر: